آثار مواقع التواصل الإجتماعي على الجماهير

الحديث عن مواقع التواصل الاجتماعي والوسائط الإلكترونية شيء لا يمكن التنبؤ به في الوقت الحالي، اللهم إلا من خلال مؤشرات توضح أنه لا مفر من السعي نحو الابتكارات الجديدة والتقنيات المتميزة في ظل عالم يشهد كل ساعة اختراعًا علميًا جديدًا، ولا بد من القنوات الفضائية أن تواكب المستحدثات في المجال الإعلامي والذي يسير حاليا في ركب

التكنولوجيا والشبكات الاجتماعية والاتجاه نحو العالم الافتراضي.

كما تجدر الإشارة هنا إلى أهمية تجديد الخطاب الثقافي والاجتماعي في ضوء الأحداث المتلاحقة عربيًا وعالميًا وأهمها نتائج الثورات العربية ومستقبل الشرق الأوسط والعلاقات الدولية في المرحلة القادمة.

وما بين المستقبل والتحديات تكمن الرغبة نحو السعي لإجراء حوار إعلامي – مجتمعي - ثقافي على مواقع التواصل الاجتماعي لاستشراف أبعاد تلك العلاقة بين الأفراد وتلك التطبيقات بإيجابياتها وسلبياتها في ظل ثورة الإعلام الجديد.

وسنحاول هنا التعرض لبعض النقاط التي قد تؤثر في مستقبل مواقع التواصل الاجتماعي:

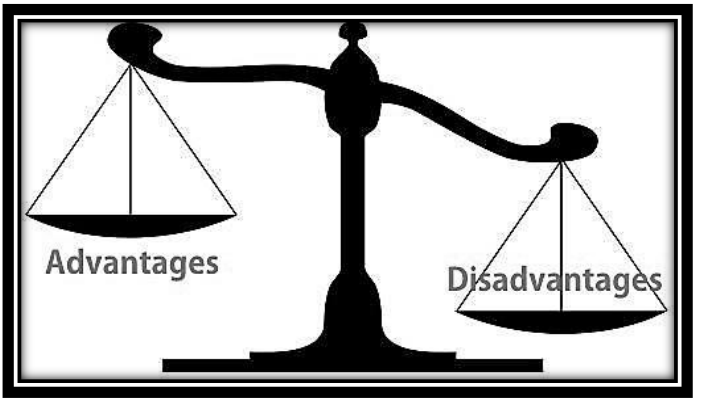

الإيجابيات

هناك الكثير من الإيجابيات التي تتوفر بموقع الفيس بوك أهمها تبادل الأخبار والمحتوى المعرفي بين أكبر عدد ممكن من الناس، والتعارف والتواصل الاجتماعي، وتغيير سلوك الناس من مجرد القراءة فقط إلا الإسهام في المحتوى وتبادل الخبرات.

وفي هذا المجال من الممكن الاستفادة من الأساليب التكنولوجية والشبكات الاجتماعية كوسيلة للربط والوحدة في ظل التنوع، فنحن لدينا فرصة ذهبية وهي تواجد الشباب بصورة كبيرة على الإنترنت وهم طاقة يمكن استغلالها بصورة جيدة ليشكلوا حائط صد ضد كل محاولات التشتيت والتفرقة بعيدًا عن قضايا الأمة الحقيقة والمصيرية، وحين نستطيع تجاوز تلك الخلافات نستطيع تحقيق القوة الحضارية للعرب كما يذكر المفكر الدكتور محمد جابر الأنصاري والتي تعود أسباب نكستها وتراجعها إلى تكوين

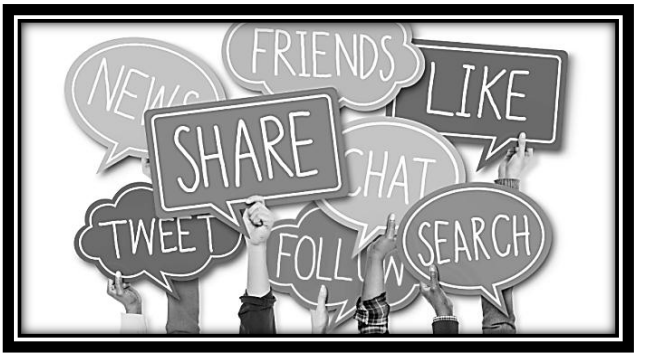

العرب السياسي وافتقاد عنصر الوحدة وكذلك التدخل والمؤامرة الأجنبية ونطرح سؤالا طرحه منذ سنوات إلى أي مدى سنستطيع إثبات قدرتنا على إدارة السياسة، وبخاصة إدارة السياسة المحلية؛ هذا هو سؤال اللحظة التاريخية الحالية، فهل نستطيع الإجابة عليه وننجح في إدارة المرحلة السياسية القادمة والارتقاء بالخطاب السياسي الاجتماعي الإعلامي الجديد واستخدام الأساليب الإلكترونية الحديثة من خلال البيئات الافتراضية على شبكة الإنترنت بصورة لائقة في ظل التطورات المتلاحقة في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

وتعتبر المبادرات الشبابية أحد أبرز الظواهر الإلكترونية الإيجابية المنتشرة على مواقع التواصل الاجتماعي، ويرجع ذلك لما تتميز به

تلك المواقع من تواجد كثيف للشباب المتحمسين الذين يمتلكون الكثير من الأفكار والتطلعات لتغيير المجتمع بصورة أفضل، وتتنوع تلك المبادرات ما بين اقتصادية وسياسية واجتماعية وثقافية ولكنها تتفق جميعًا في أن وسيلة التغيير هي استخدام أدوات الإعلام الجديد في إحداث التأثير المطلوب.

ويمكن تعريف المبادرة بأنها فكرة جديدة أو رؤية مختلفة لشخص ما لمواجهة أسلوب أو طريقة أو مشكلة أو قصور في أحد مناحي الحياة، ويعبر عنها في صورة حملة إلكترونية وعلى الرغم من أن الحملة بمجرد اشتراك الناس فيها أصبحت الفكرة مشاعًا والإضافات متاحة والكل مشارك في صياغة مبادئ وتوجهات الحملة إلا أن الشخص صاحب الفكرة أو المبادرة يظل هو المعبر الرئيسي عنها وهو الرئيس الشرفي لها.

ويمكن من خلال مواقع التواصل الاجتماعي والمدونات والمنتديات الشبابية رصد عدد كبير من المبادرات والأفكار الجديدة التي تدعو لممارسات إيجابية وثورية ضد أنظمة فاسدة في الكيانات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية الفكرية.

ولعل أبرز المحاور التي تنشأ خلالها المبادرات الشبابية في المجتمعات هي: تحسين مستوى المعيشة والخدمات الرئيسية للمجتمع، وتعديل الأنماط الحياتية السلبية والأخلاقيات الفاسدة، والدعوة لمقاطعة ونبذ السياسات القمعية ضد الأشخاص والجماعات، وتنسيق الجهود لعمل جبهة ضد الظلم المجتمعي للكفاءات والمبتكرين، والدعوة لسلوكيات إيجابية تقوم على تشجيع الإبداع والأفكار الجديدة.

وتعتبر مواقع التواصل الاجتماعي بما توفره من إمكانيات وسيلة مهمة من أهم وسائل الدعوة لمباردات شبابية على الإنترنت، وتعد مميزات مثل إنشاء الصفحات أو إرسال الرسائل أو إضافة مقاطع صوت أو فيديو ذات أهمية كبيرة لأصحاب الأفكار الجديدة الذين يقومون باستغلال كافة الفرص من أجل كسب المزيد من المعجبين والمشجعين للفكرة أو الحل الجديد والمبتكر.

وينبغي هنا أن ننبه إلى أهمية استفادة علماء المجتمع وأساتذة الإعلام والباحثين في مجال الرأي العام من المبادرات الشبابية واستغلال وتنمية أفكارهم وخصوصًا في مجال الثقافة والخدمات والتربية المدنية وفي المقابل يجب على الأجيال السابقة أن تعمل على ترشيدهم وتزويدهم بالخبرات والمعرفة اللازمة للنجاح .

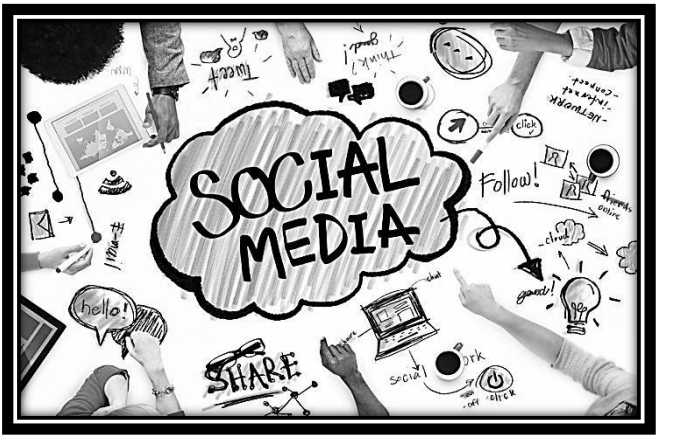

السلبيات

إذا كنا نتحدث عن إيجابيات مهمة لأدوات التكنولوجيا الحديثة ومواقع التواصل الاجتماعي وذلك من منطلق أنها أدوات الحاضر والمستقبل، ولا يمكن إغفال دور أدوات مثل المدونات والفيس بوك وتويتر ويوتيوب وفلكر وغيرها من أدوات الإعلام الجديد في صياغة كثير من الأحداث في حياتنا، إلا أن هذا لا ينفي وجود سلبيات عديدة يمكن ملاحظتها على الإنترنت يمكن تلخيصها في عدة نقاط:

ملكية الفضاء الإلكتروني

من المعروف أن شبكة الإنترنت، تقوم بالإشراف عليها منظمة خاصة تدعى "هيئة الإنترنت للأسماء والأرقام المخصصة (الآيكان "(Numbers Corporation for Assigned Names and Internet ((ICANN) التي أسستها الولايات المتحدة عام ١٩٨٨ ، ولا مفر من الاعتراف بأن الولايات المتحدة هي بالفعل المتحكم في مصير الشبكات الدولية والفضاء الإلكتروني فقد نشأ بها "إنترنت" Internet وهي اختصار الكلمة الإنجليزية International Network ومعناها شبكة المعلومات العالمية، ويعود الفضل في إنشاء الإنترنت إلى الصراع الأمريكي/ السوفيتي، ففي عام ١٩٥٧ أطلق الاتحاد السوفيتي القمر الصناعي Sputnik وهو أول قمر صناعي. وقد ردت عليه الولايات المتحدة وقتها بتأسيس (Advanced Research

Project Agency) أي وكالة مشروع الأبحاث المتطورة، وتعرف اختصارًا (ARPA) بتمويل من وزارة الدفاع الأمريكية. ويعتبر عام ١٩٦٩ هو البداية الحقيقية للإنترنت، وكانت في الولايات المتحدة الأمريكية.

وعلى الرغم من أن قمة المعلوماتية التي عقدت في سويسرا العام 2003 وما تلاها من قمم مثل قمة تونس في العام 2005 قد شهدت دعوة أغلبية دول العالم إلى تحرير إدارة الإنترنت من قبضة مؤسّسة الإيكان الأميركية.. إلا أن هذا لم يحدث !!!!

ومما يزيد الأمور قلقًا بالنسبة لكثير من الباحثين أن نظم تشغيل الكمبيوتر وأشهرها ويندوز الذي تنتجه شركة مايكروسوفت وهو غير مفتوح الكود المصدري له وكذلك البرمجيات المختلفة القائمة على بيئة التشغيل والتي تعتمد عليها أغلبية دول العالم ومنها دول عالمنا العربي كلها تعتمد على شركات أمريكية دون منافس قوي.

الحروب الإلكترونية وأجهزة المخابرات

نظرًا لأن الإنترنت هو بيئة مفتوحة وغير محكومة بضوابط أخلاقية فيستغل البعض ذلك في النفاذ إلى مواطني الدول الأخرى ومن ثم إثارة الناس وتشجيع الخلافات بين الأفراد والجماعات

ومحاولة هدم المجتمعات والدول سواء كان ذلك موجهًا بدافع حقد شخصي أو رغبة مجموعة معادية.

ولم تقف أجهزة المخابرات تتفرج على ما يجري من تغير في أدوات الحوار والصراع الحديثة فدخلت المجال بقوة وخاصة بعد أن أصبح الحديث بقوة عن أن الحروب القادمة هي حروب إلكترونية أو كما يسمونها حروب الفضاء الإلكتروني *Cyber* war .

وكذلك حروب القراصنة التي تقوم بين مبرمجين ومخترقين للأنظمة وأحيانًا ما تصل لتهديد مصالح دول ومؤسسات كبيرة، وتلحق خسائر مادية باهظة للأفراد والمؤسسات.

الشائعات الإلكترونية وحملات التشويه والابتزاز

تعتبر الإشاعة الإلكترونية أحد أبرز وسائل ابتزاز الشخصيات العامة وحملات التشويه الموجهة ضد تيار فكري أو سياسي معين، وعادة ما تستخدم الإشاعة الإلكترونية لبث أفكار مغلوطة لخدمة أجهزة سياسية أو فئات اجتماعية مؤثرة، وذلك في محاولة من مصدر الإشاعة لتشويه صورته أمام الرأي العام وتخويف الناس وترويعهم من أفكاره، أو نشر خبر مغلوط لزيادة حملات المعارضة ضده شخص أو مجموعة أشخاص.

وهناك أنواع عديدة للإشاعة الإلكترونية، فمنها إشاعة الخوف والذعر ومنها إشاعة لسعي لنشر عقيدة معينة، ومنها إشاعة الاستطلاع التي تسعى لرصد التأثرات والردود وأشهرها إشاعة التضليل لأنها ترتبط بنفسيات ودوافع فردية وجماعية متنوعة.

ويرتبط موضوع الشائعات الإلكترونية بنقطتين في غاية الأهمية والخطورة. النقطة الأولى هي موضوع السمعة الإلكترونية، فالسمعة موضوع مهم جدًا لكل من يعمل بالعمل العام، وتزداد الخطورة على الإنترنت وخصوصًا في ظل الإشاعات الإلكترونية،

ويجب أن نستخدم التطبيقات التي تساعدك في الحصول على ما يشير إلى اسمك على الإنترنت مثل خدمة إنذار الأخبار من جوجل كما يجب أن نراعي احتياطات الخصوصية داخل الصفحات على المواقع الاجتماعية.

النقطة الثانية والأخيرة هي الصدام على الشبكات الاجتماعية، فالدخول في صدام على المواقع الاجتماعية أمر لا تحمد عواقبه خصوصًا ونحن أمام آليات عديدة للشحن ضد شخص معين وتعرضه لابتزاز من قبل بعض متابعيه وإحراجه أمام الأصدقاء والمعجبين، فلابد من تجنب الصدام بشتى الطرق، واستخدام إستراتيجيات تقوم على سياسة ولباقة في الحوار، فلا شيء يختفي من الإنترنت وخصوصًا في ظل إمكانيات البرنت – سكرين ومعالجة الصور، وتزداد أهمية تلك الاحتياطات مع الصفحات العامة لمؤسسات أو أشخاص معروفة.

ولأن ما لا يدرك جله لا يترك كله فإن وجود بعض الشوائب والأفكار غير الصالحة الموجودة على بعض المنصات الإلكترونية لا يمكن اعتباره دليلاً ضد المجال كله، فمواقع التواصل الاجتماعي هي بمثابة تطور طبيعي للتقنيات التقليدية في التواصل والمشاركة والتي تفرض سنن الحياة والواقع والتكنولوجيا تطورها لتلائم وتواكب مجريات الحياة المعاصرة والسريعة والجديدة.

الأخطار الاجتماعية (الحب الافتراضي نموذجًا)

استطاعت تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات أن تلعب دورًا كبيرًا في جذب قطاعات وشرائح مختلفة إلى استخدام أدوات الإنترنت والشبكات الاجتماعية خاصة وعلى رأسها الفيس بوك في التواصل الاجتماعي الذي ما لبث أن تحول من مجرد تواصل بين أفراد العائلة والأقارب والأصدقاء المقربين إلى المعجبين والمهتمين بصفة عامة إلى حياة افتراضية كاملة، حياة يتوفر بها مشاعر ما بين الحب والكراهية والأمان والاستقرار والاضطراب والانفصال والضياع.

أصبح الفيس بوك هو المتنفس الوحيد للكثيرين للبوح بمشاعرهم، وكتابة خواطر عاطفية، وخصوصًا من النساء، اللاتي كن ولفترة طويلة يعانين في المجتمعات العربية من التقاليد وعدم القدرة على التعبير عن مشاعرهن.

وعلى الرغم من أن الشبكات الاجتماعية لها مميزات عديدة في النواحي السياسية والثقافية والاقتصادية، إلا أن تأثيراتها الاجتماعية ما زالت محل جدل كبير، ولم يحسم بعد مدى نجاح فرص الارتباط العاطفي على الإنترنت والزواج وما إلى ذلك من حياة كاملة بين طرفين يمارسان الحب عبر الشبكة العنكبوتية.

وهناك مشكلات عديدة أمام قصص الحب على الإنترنت يجب الانتباه إليها أهمها أن البيئة الافتراضية غالبًا ما تكون مزيفة، فالشخص الذي تبدو صفحته على مواقع التواصل الاجتماعي مبهرة، ويبدو نشيطًا ومنجزًا ومتفوقًا في كثير من الأمور غالبًا لا تبدو

حياته الواقعية شبيهة بذلك، بل على العكس فكثرة اهتمامه واندماجه بالإنترنت سيحوله في أحيان كثيرة إلى شخص كسول غير منتج وهي شخصية لا يمكن الاعتماد عليها في بناء حياة أسرية سليمة.

الشيء الآخر هو قلة خبرة أحد الطرفين باحتياطات الخصوصية بالنسبة للصور والبيانات والتعليقات والردود ليجد نفسه وقد وقعت بياناته في يد شخص آخر يستغلها للتأثير عليه وخصوصًا مع التقنيات الحديثة وإمكانيات التلاعب في الصور الرقمية، ويجب الحرص في إعطاء بيانات مثل أرقام التليفون وبيانات السكن ومحل الإقامة والوضع المادي والوظيفي والشخصي والاجتماعي.

الأخطر من كل ذلك هو أن الطرفين رغم خوض التجربة العاطفية يفتقد كل منهما المصداقية لدى الطرف الآخر نظرًا لعدم وجود رؤية واقعية ومواقف جدية، ولفت نظري مشكلة عرضها أحد الشباب على أحد المواقع الاجتماعية لحل المشاكل عندما قال "منذ ستة أشهر تقريبًا تعرَّفتُ على فتاة عن طريق الإنترنت، كنَّا في بداية الأمر نتحدَّث في مواضيع اعتياديَّة، وعن العادات والتقاليد المختلفة في بلدَينا، حتى تطوَّر الأمر، وأصبحنا نتحدَّث عن أمور الحبِّ وما شابه، فتعلَّقْتُ بها، وهي تعلقَتْ بي أكثر. لفترة من الفترات بدأتُ أفكِّر في اتِّخاذها كزوجة، وبدأنا نتغزَّل في بعض، ومن هذه الأمور، وما شابه، أنا لم أرَها قط، ولكنَّها بعثت لي بعض صورها، وبالرغم من تعلُّقي بها فإنَّني دائمًا ما أحسُّ أنها غير صادقة معي في كل ما تُخْبرني به!". غالبًا ما تنتهي تلك العلاقات

بصدمات عاطفية شديدة لكلا الطرفين وتسبب تأثيرًا نفسيًا واجتماعيًا شديدًا.

تبقى نقطة في غاية الأهمية ينشغل بها حاليًا الباحثون في مجال الوسائط الاجتماعية كفيس بوك وتويتر وانستجرام ويوتيوب وغيرها، النقطة الأولى هي موضوع السمعة الإلكترونية، فالسمعة موضوع مهم جدًا لكل الأشخاص، وتزداد الخطورة على الإنترنت وخصوصًا في ظل الإشاعات الإلكترونية، ويجب أن نستخدم التطبيقات التي تساعدك في الحصول على ما يشير إلى اسمك على الإنترنت مثل خدمة إنذار الأخبار من جوجل.

ومن الملفت للنظر أن الفيس بوك بدأ ينتبه لذلك وخصوصًا أزمة الصدمات العاطفية وفقدان شريك الحب الافتراضي، حيث تناقلت وكالات الأنباء والمواقع الإخبارية منذ أيام قلائل خبرًا عن قيام شركة فيس بوك بالبدء في تجارب على سلسلة أدوات اختيارية تتيح لمستخدمي شبكتها الحد من التفاعل مع شركائهم السابقين في حال الانفصال العاطفي إثر انتهاء العلاقة بينهم. وأشارت الشركة في رسالة عبر مدونتها الرسمية، إلى أن الأدوات الجديدة ستسمح خصوصا بـ"الحد من رؤية الاسم أو الصورة الشخصية للشريك السابق على فيس بوك من دون الحاجة إلى إلغاء الصداقة معه أو حظره، حيث بات في إمكان المستخدمين أن يختاروا الحد من ظهور المنشورات الخاصة بشركائهم السابقين أو مواصلة متابعتها. كما يمكنهم اتخاذ قرارات عما إذا كانوا يريدون حجب صورهم الشخصية وتسجيلاتهم المصورة وتحديثات بياناتهم عن شركائهم السابقين. كذلك تتيح خاصية ثالثة التحكم

بالإعدادات المتعلقة بمنشورات سابقة بما يسمح على سبيل المثال بإلغاء الإشارات الموضوعة في صور سابقة للثنائي".

قضايا عديدة تثيرها العلاقات العاطفية على الإنترنت ولا بد من الانتباه جيدًا حتى لا يحدث ما لا تحمد عواقبه.

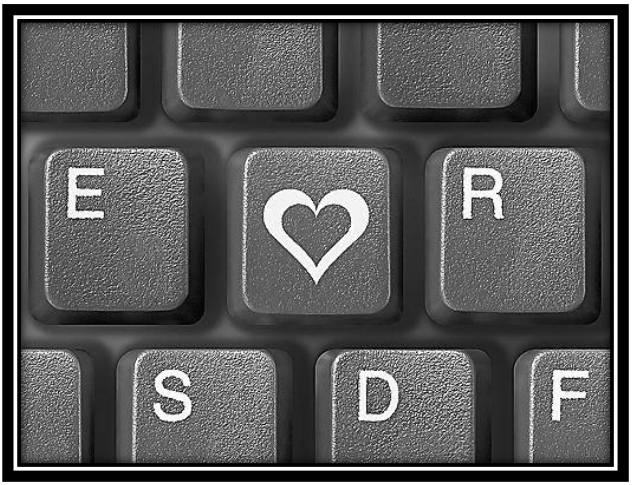

منظمات المجتمع المدني وحرية تداول المعلومات

تعد مؤسسات المجتمع المدني عمومًا والمؤسسات الحقوقية خصوصًا من أهم المؤسسات التي تسعى لحرية تداول المعلومات والشفافية والدقة في تحري البيانات والتصريحات والأخبار، وقضية الحرية والمسئولية في المؤسسات تعد من القضايا المهمة والتي ترتبط بحرية المواطن وممارسة تلك الحرية في الواقع العملي دون قيود أو تدخلات رقابية مدعومة بجهات سيادية.

وتساعد حرية تداول المعلومات على محاربة الفساد والكشف عن أوجه القصور في المجتمع ومؤسسات الدولة الرسمية وكذلك المؤسسات الخاصة وهو شيء لا يتحقق إلا بالمكاشفة والمصارحة والمحاسبة بما فيه من مصلحة ومنفعة للصالح العام.

وينبغي الأخذ في الاعتبار عند دراسة دور منظمات المجتمع المدني وعلاقتها بتكنولوجيا المعلومات الآتي:

- الجانب القانوني: ويتمثل في القوانين واللوائح والقرارات الخاصة بمنظمات ومؤسسات المجتمع المدني والجهات الخاصة التي تقوم بأنشطة رقابية أو خدمية أو إعلامية أو تقنية وذلك بشكل مواز للأعمال الرسمية الموجهة.
- السياسة المحلية والخارجية: وتعد من أهم العوامل التي تساعد على نمو المؤسسات في حالة الانفتاح وتحد منها بصورة كبيرة في المجتمعات المغلقة والمستبدة والتي ترفض سياستها التدخل في شئونها أو حدوث أي تسريب إعلامي لأي انتهاكات تحدث بها والسياسة الخارجية لدولة ما في مواجهة التكتلات الدولية تؤثر بشكل كبير على عمل مؤسسات المجتمع المدني.
- التمويل: يعد عاملا رئيسيًا في قيام أي أنشطة أساسية أو زائدة بالمؤسسة وفي بعض الحالات يشكل التمويل عامل خطورة إذا تدخل بصورة أساسية في خطط وأفكار المؤسسة بما قد يحقق أغراض معينة.
- البنية التكنولوجية التحتية: تكنولوجيا المعلومات ومدى توافر بنية قوية من حيث المعدات والبرامج والأفراد

المؤهلين والخبراء في المجال له دور مهم في نجاح المؤسسة وتأدية الدور المطلوب.

- الإدارة: هي الأساس والمنفذ لجميع الأنشطة والإدارة الفعالة هي عنصر النجاح لأي مؤسسة مهمة، وهي المحرك الرئيسي لكافة العوامل والأدوار الفعالة داخل المنظمة أو المؤسسة أو الكيان ولا غنى عن الإدارة بأي شكل من الأشكال.

وقد أدى الاتجاه نحو العالم الافتراضي الذي نشأ بظهور الإنترنت، إلى إنتاج ما يمكن تسميته بالمجتمع المدني الإلكتروني، وهو ما أدى إلى ظهور المسئولية الاجتماعية للشركات، والهيئات، والمؤسسات، والحركات المستقلة على مواقع التواصل الاجتماعى، ودور هذه الكيانات في تحقيق التنمية بمختلف أشكالها: سياسية، واقتصادية، وفكرية، واجتماعية.

وفي النهاية يجب التأكيد على أن البحث في العلاقة بين تكنولوجيا المعلومات والشبكات الاجتماعية الإلكترونية وتأثيراتها على الأفراد والمجتمعات ينطوي على مواضيع عديدة منها قضايا المحتوى العربي على الإنترنت، والصورة الرقمية ودلالاتها، وقضية الهوية والخصوصية في ظل المجتمع الافتراضي ومواقع التواصل الاجتماعي، قضايا الإبداع الأدبي والفكري الرقمي، الفضاء الالكتروني وتداعياته السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

فمواقع التواصل الاجتماعي وعلى رأسها الفيس بوك هي بمثابة تطور طبيعي للتقنيات الإعلامية التقليدية والتي تفرض سنن الحياة والواقع والتكنولوجيا تطورها لتلائم وتواكب مجريات الحياة المعاصرة والسريعة والجديدة.

وكما يقول المثل فهذا "غيض من فيض" فالموضوع يتسع لدراسات وأفكار عديدة للبحث وسبر أغوار هذا العالم الافتراضي الذي أصبح يؤثر فينا أكثر من محيطنا الواقعي والطبيعي.